مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد 06/ العـــدد02 (2022)، ص ص 769-778

الشيخ عيسى الثعالبي ونشاطه الفكري بالمشرق العربي خلال القرن 11هـ/17م

Sheikh Issa al-Thaalbi Sheikh Issa al-Thaalbi and his intellectual activity in the Arab East during the 11th century AH/17AD

يوسف بن حيدة *
جامعة أم البواقي (الجزائر)
com.gmail@1benhidasf

تاريخ الاستلام: 15./11./..2021 تاريخ القبول: .16./04./..2022

الملخص:

يتناول المقال شخصية الشيخ عيسى الثعالبي ومساره التكويني والتعليمي انطلاقا من الجزائر باتجاه المشرق أين استقرّ ببلاد الحرمين خلال القرن السابع عشر ميلادي، من خلال ما تناولته الدراسات المنقبية وكتب السير والتراجم، حيث تتمحور إشكالية البحث حول الأثر العلمي والتاريخي للعلامة عيسى الثعالبي ونبوغه ضمن المسار الرحلة التكوينية والتعليمية، وسنحاول التعرف على المحطات التي قطعها الشيخ وأثرها في مكانته العلمية ببلاد المشرق عموما وبلاد الحرمين خصوصا، وفق منهج تاريخي يبرز الأثر الفكري والعلمي لأحد أبرز النخب الجزائرية خلال الفترة العثمانية بما تركه من تصانيف وإجازات وتخريج العلماء، مع الحرص على ضرورة تخصيص دراسات معمّقة لهذه الشخصية وأثرها في تاريخ الجزائر والعالم الإسلامي.

كلمات مفتاحية: عيسى الثعالبي، المشرق ، بلاد الحرمين ، الجزائر، الفكري.

exceed 10 lines/ 200 word as a maximum) (Time New Roman14)

Abstract :

The article deals with the personality of Sheikh Issa al-Thaalbi and his formative and educational path from Algeria towards the East, where he settled in the country of the Two Holy Mosques during the seventeenth century AD, through what was dealt with excavation studies, biographies and translations. and educational, and we will try to identify the stations that the Sheikh made and their impact on his scientific status in the countries of the Levant in general and the countries of the Two Holy Mosques in particular, according to a historical approach that highlights the intellectual and scientific impact of the most prominent Algerian elites during the Ottoman period, with what he left of classifications, licenses, and graduation of scholars, taking care of the need to allocate in-depth studies to this character and its impact. In the history of Algeria and the Islamic world.

Key words:

Issa Al-Thaalibi, Al-Mashreq, the land of the Two Holy Mosques, Algeria, Al-Fikri.

*المؤلف المرسل: د/ بن حيدة يوسف

1. مقدمة:

عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية ظهور شخصيات علمية كان له دور بالغ التأثير في تاريخ الجزائر الثقافي، وامتدّ نشاطها خارج المجال ليصل إشعاعها إلى المشرق بما تركته من تراث فكري وتكوين علمي من خلال تخريج عديد المشايخ، وإجازتهم في العلوم الدينية، وفي هذا الجانب تبرز شخصية عيسى الثعالبي العلمية وأثرها ببلاد الحرمين الشريفين، وهو موضوع الدراسة حيث تتمحور الإشكالية حول مسار الشيخ عيسى الثعالبي التكويني انطلاقا من الجزائر وصولا إلى دوره التعليمي ببلاد المشرق وخاصة بلاد الحرمين مستقرُّه النهائي، والتعرّف على ما تركه من آثار علمية شاهدة على نشاطه ومكانته ضمن أبرز النخب الجزائرية التي ذاع صيتها في الفترة العثمانية .

2. التعريف بالشيخ عيسى الثعالبي:

1.2 مولده ونشأته:

هو عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر جار الله أبو مكتوم الجعفري الثعالبي، وينتمي في نسبه إلى أسرة الثعالبة التي ينحدر من نسلها الشيخ العلامة عبد الرحمان الثعالبي، أمّا عن تاريخ ميلاده فلم تتناول كتب التراجم ميلاده بالضبط ماعدا بعض الترجيحات التي حاولت أن تحدد تاريخه بسنة 1020هـ/1611م [1]، أما عن مكان ولادته فكان بالجزائر مستقرّ أسرة الثعالبة بالمجال الممتد في شكل إمارة من نواحي مليانة غربا إلى سهول وادي يسر شرقا[2]، والمعروف أيضا ببلاد زواوة وبها نشأ في كنف أسرته التي حثّته على التعلم فتلقى المبادئ الأولى بمسقط رأسه حيث حفظ متونا في العربية والفقه والمنطق وعرضها على شيخه عبد الصادق[3].

2.2 رحلته التكوينية بالجزائر :

بعد مدّة قضاها عيسى الثعالبي بمسقط رأسه اضطرته الضرورة التكوينية والتعليمية للبحث عن مواطن العلماء والفقهاء للأخذ عنهم فاتّجه إلى الجزائر العاصمة أين التقى بعلمائها ومن أبرزهم المفتي سعيد قدورة(ت1066هـ/1656م) خطيب الجامع الكبير بالعاصمة الذي روى عنه الحديث المسلسل بالأولوية والضيافة على الأسودين التمر والماء، وأخذ عنه الذكر ولبس الخرقة والمصافحة والمشابكة[4]، وهذا ما يشير إلى التكوين الصوفي الذي استهل به الثعالبي حياته مع اهتماماته بعلم الحديث الذي بدأ ينبغ فيه خلال المراحل اللاحقة. ومن الشيوخ الذين تلقّى عنهم علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي[5] الذي لازمه أكثر من عشر سنوات وأخذ عنه علوما متنوعة عدَّدها المحبّي في خلاصته وهي كالتالي: صحيح البخاري رواية ودراية إلى نحو الربع منه، كما درس عنه الفقه وأصوله عن مختصر خليل، ورسالة

---

[1] – عبد العزيز دخان، الإمام أبو مهدي عيسى الثعالبي ومعجم المؤلفات الواردة في كتابه (كنز الرواة المجموع)، مجلة الصراط ،جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر، المجلد 22 ، العدد1، جويلية 2020، ص 75.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، (1500– 1830)،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 52.

[3] – محمد أمين المحبّي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج3، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص 240.

[4] – المصدر نفسه، ص240.

[5] – علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله نشأ بسجلماسة ثم رحل إلى فاس ومنها إلى مصر سنة 1043 أين استزاد من العلوم، وبعدها قدم إلى الجزائر حوالي سنة 1045هـ– 1047 هـ /1635–1636م ، واضطلع بمهمة التعليم بمدينة الجزائر وحظي بمكانة لدى سلطانها يوسف باشا ، توفي بالطاعون حوالي سنة 1057 هـ/ 1665م للتفاصيل انظر عنه : المحبّي، المصدر السابق، ج 3 ،ص 174–175 ؛ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ،(1500– 1830)، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998، ص 372.

القيرواني وتحفة الحكام لابن عاصم وجمع الجوامع للسبكي من أصول ابن الحاجب مع نبذة من شرحه للعقباني، وشروحه للقاضي عضد الدين وحاشية المحقق التفتازاني عليه، وفي أصول الدين أم البراهين بشرحها للسنوسي، وفي النحو ألفية بن مالك، وفي فن البلاغة جميع تلخيص المفتاح بشرحه المختصر، وفي المنطق جميع الجمل للخونجي، والبردة للبصيري وغيرها من العلوم وكتب السير [6].

وقد تعززت المصاحبة بين الثعالبي وشيخه الأنصاري وتوثّقت أكثر على الصعيد الإجتماعي والسياسي، حيث زوّج الأنصاري ابنته للثعالبي وقرّبه من الحاكم العثماني يوسف باشا الذي جعله بمرتبه كاتبه الخاص[7].ويصف العيّاشي هذه المكانة التي ارتقى إليها الثعالبي وخصّ بها عند الحاكم العثماني ما نصّه:" ..وكانت للشيخ مكانة عليّة عند والي البلد يوسف باشا، وكان ذا همّة عالية وشهامة ... فعظمت مكانة شيخنا أبي المهدي عنده أيضا، واتّصل به، وكان من جملة خواصه إلى أن وقع للأمير المذكور ما أوجب عزله عن الولاية ..."[8] ، وبعد تطور الأوضاع في عاصمة الأيّالة وتدهورها اتجه الثعالبي إلى قسنطينة ليلتقي فيها بالشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني[9] وأخذ عنه في الحديث وقرأ عليه عديد الكتب مثل كتاب" الشفا للقاضي عياض"، ولم تطل به الإقامة في قسنطينة نظرا لما كانت تعرفه من عدم استقرار، وظل يتنقل بين زواوة وقسنطينة وبسكرة واستقرّ به المقام عند الشيخ أحمد المبارك التواتي في حوالي سنة 1060هـ/1651م وبقي عنده معظم الوقت إلى أن مات الشيخ التواتي[10].كان لهذه الفترة التي قضاها متنقلا في أرجاء الأيّالة لطلب العلم دور في كبير في تكوينه وتحصيله، وبداية لمرحلة تكوينية جديدة في المشرق لاستكمال مساره التعليمي والتصدّر للمشيخة والتدريس.

3.2 رحلته المشرقية واستقراره ببلاد الحرمين :

بعد فترة قضاها عيسى الثعالبي في الجزائر ونظرا للظروف السياسية التي كانت تعرفها الأيّالة الجزائرية في منتصف القرن السابع عشر إضافة إلى وفاة شيخه الأنصاري والحاكم يوسف باشا، والعزلة التي أصبح يعاني منها الثعالبي في ظل غياب سند له اضطر إلى مغادرة الجزائر باتجاه المشرق سنة 1061هـ/ 1652م، قاصدا الحج واستقرّ به المقام بمكة المكرمة التي أدّى بها فريضة الحج سنة 1062-

---

[6] -المحبّي ، المصدر السابق،ج3 ، ص 241-242.

[7] – أبو عمران الشيخ، ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995، ص 128-129 .

[8] – عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية 1661-1663، تحقيق : سعيد الفاضلي ، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ج2، أبوظبي ،الإمارات العربية المتحدة، ط1،ص183.لم يذكر العياشي سبب عزل يوسف باشا ولعل ذلك راجع إلى الأحداث التي عرفتها الأيالة ومنها ثورة ابن الصخري ببايليك الشرق حوالي 1048هـ وهو ما جعل الباشا يتعرض للسجن من طرف منافسيه في الحكم، وكذا تمرد الجنود بسبب عدم دفع المرتبات لهم ..، للتفاصيل أكثر ينظر : سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 53.

[9] – هو عبد الكريم الفكون بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني المتوفي 1073هـ/ 1662 م من عائلة عريقة تنتمي إلى قبيلة تميم العربية، وهي من الأسر الميسورة ماديا وكذا روحيا بالمنطقة .. وكانت تشرف على ركب الحجيج الجزائري إلى الحجاز ، والمترجم له كتاب مشهور هو: منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية ، للتفاصيل عن الشيخ انظر ترجمته في مقدمة كتابه : ، منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية ،تقديم تحقيق أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط1، 1987، ص 7 ومابعدها.

[10] – المصدر نفسه ،ص 183-184. أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 186، ص60.

1063هـ/1653-1654م وسكن بخلوة في رباط الدواودية على حدّ قول المحبّي[11] فنهل من بحر العلوم واستزاد من علمائها أمثال القاضي تاج الدين المالكي والإمام زين العابدين والشيخ محمد محمد بن علاء الدين البابلي المصري . وكان للناس فيه اعتقاد عظيم فقد عدّ زروق زمانه[12]، كما قصد مصر وأخذ عن علمائها كالشيخ أبي الحسن علي بن زين العابدين الأجهوري إمام المالكية بمصر (ت1066هـ/ 1656م)، ومحمد البابلي وشهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي(ت1069هـ/1659م)، والنور علي ومحمد الشوبري وأخيه شهاب والبرهان وأبي الحسن إبراهيم الميموني الشافعي وغيرهم من مشايخ القاهرة، وحظي بمكانة مرموقة ولم يبخلوا عليه بما أوتوا من علم وما توفر عندهم من كتب[13]، وعاد إلى مكة أين استقر به المقام وتزوّج بعد ذلك من جارية اشتراها، وتصدّر للمشيخة والتعليم بعد أن أخذ قسطا وافرا من العلوم جمع بين الفقر في بداية حياته وسعة في الرزق في أواخرها إلى أن وافته المنية بمكة المكرمة سنة 1080هـ/ 1669م[14].

4.2 تكوينه الصوفي :

تلقّى الشيخ عيسى الثعالبي تكوينه الصوفي بالجزائر فقد أخذ عن سعيد قدورة طريق القوم ومبادئ التصوف فكان له ما كان من لبس الخرقة والمصافحة والمشابكة ونحوها، وأثناء إقامته بمصر انتقل من القاهرة إلى الصعيد حيث التقى بالشيخ أبي الحسن علي المصري وأخذ عنه الطريقة الشاذلية وقرأ عليه من مصنفاته في التصوف[15]، وفي الحجاز أخذ الطريقة النقشبندية على الشيخ صفي الدين أحمد القشاشي المدني(ت 1071هـ/1661م)،وألبسه الخرق الثماني، وفي معرض حديثه عن شيخه الثعالبي أشار العياشي إلى مكانته بقوله: "... ما رأيت مثل سيدي الشيخ أحمد يكتب ما أراد من غير احتياج إلى تفكر..."[16].

ونظرا للتوجه الصوفي في كتابات العياشي فقد تناول بشيء من التفصيل في رحلته مظاهر طقوسية في أخذ الطريقة عن شيخه عيسى الثعالبي، فخلال تواجد العياشي بالمدينة المنورة التقى بالشيخ عيسى الثعالبي يوم الجمعة بمنزله بباب حزورة وتلقّى عنه الذكر على مبادئ الطريقة النقشبندية وألبسه الخرق الثماني المنصوص عليها عنهم والتي ضمنها الشيخ أحمد بن أبي الفتوح في كتابه المسمّى **"جمع الفرق لرفع الخرق"**، وهي متصلة في سند إلى الشيخ صفي الدين القشاني المدني[17]، وفي تعريفه للثعالبي ما يبرز انتماءه إلى التصوف الشاذلي

---

[11]-المحبّي ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 240 .

[12] – العياشي، المصدر السابق ،ج2،ص 184. المحبّي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 241-242.

[13] – للإستزادة أكثر عن أشهر شيوخ عيسى الثعالبي ينظر: العياشي، المصدر السابق،ج2 ،ص 184؛ المحبّي، المصدر السابق ، ج3، ص 241.

[14] – كانت وفاته في الرابع والعشرين من رجب، ودفن بالحجون من المصلى في دكة فوق مقبرة ابن عراق عند قبر الشيخ محمد بن عراق، المحبّي، المصدر السابق،ج3،ص 243، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرسة لفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، اعتناء: إحسان عباس ،ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط2، 1982، ص 807.

[15] – العياشي ، المصدر السابق ،ج2 ،ص 185.

[16] – المحبّي، المصدر السابق ،ص 242.

[17] – للتفاصيل عن الخرقة الصوفية ينظر : العياشي، المصدر السابق ، ج1 ، ص 335، وأيضا : سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ، ص 494-495.

قوله: " تلقّى من عدّة مشـائخ وسـلك على طريقهم، إلا أنّه لم يعدل عن حزب الشـاذلية وفريقهم، فلذلك كان مقبولا عند أهل الباطن والظاهر، كما هو شأن أئمة الشاذلية المشاهير "[18].

وهذا التوجه الصوفي الذي اشتهر به الثعالبي لم يكن تصوف دروشة بل جمع بين علم الشريعة والحقيقة، مع ما اشتهر به الثعالبي من زهد جعله يعيش فقيرا في معظم أوقاته متعففا في التقرب من الأمراء وطرق أبوابهم في طلب الرزق، ومع ذلك فقد فتح الله عليه في أواخر حياته وأصبح في سعة من الرزق حسب الروايات [19].

3. مكانته العلمية ونشاطه الفكري بالمشرق العربي:

إنّ التكوين العلمي الذي حصّله الشيخ عيسى الثعالبي في موطنه بالجزائر وخلال رحلته المشرقية جعله يتصدر للمشيخة والتكوين سواء عن طريق التلقين أو التأليف، وهذا ما جعله من أبرز العلماء الجزائريين بالحجاز خلال القرن السابع عشر ميلادي، بما تركه من آثار وسيرة علمية وكذا الإجازات التي منحها لطلابه .

1.3 مؤلفاته:

اهتم الشيخ عيسى الثعالبي بالإطّلاع على خزائن الكتب والمؤلفات، واشتهر بالرواية في الأحاديث غير أنّ تفرغه للتأليف لم يلقى أهمية بالغة إلا ما كان حصيلة تنقلاته بين المكتبات في رحلته بين الحجاز ومصر، حيث يذكر الكتاني في هذا الجانب ما نصه : "...وتتبع الخزائن الكبار بمصر والحجاز استخرج منها غرائب المصنفات، وقيّد الكثير منها وانتقى الثنائيات والثلاثيات والرباعيات من الأحاديث .. من كثير من المصنفات والجوامع والمسانيد والأجزاء "[20].

وأثناء استقراره ببلاد الحرمين قام الشيخ الثعالبي بالتأليف ومن أشهر مؤلفاته كتاب: " كنز الرواة " أو المعروف بـــ "كنز الرواية المجموع في درّ المجاز ويواقيت المسموع" الذي ضبط فيه الأسماء والأنساب مرتبا فيه أسماء شيوخه أبجديا يبدأ فيه بالتعريف بالشيخ ويذكر فيه مؤلفاته وأسماء شيوخه حتى يستوفي ما هو مطلوب، واتبع أسلوب الترتيب والتعليل والدّقة في ضبط الأسماء والأنساب، وهو على حدّ وصف الكتاني قلَّ ما يوجد عند غيره[21]، ويروي العياشي في رحلته عن كتاب كنز الرواة : "بأنّه يتضمن سنده في الفقه ومن أخذ عنهم من مشائخه دراية ورواية، وتنتهي طرق السند إلى خمسة أعيان من أعلام فاس وتلمسان الإمام ابن غازي ، والشيخ زروق، والعلامة الونشريسي، والمحقق أبي الحسن الزقاق والحافظ التنسي .[22]

ومما ينسب أيضا للثعالبي كتاب :" منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والأسانيد برواية الشيخ صالح ابن محمد العمري الفلاني" جمع فيه مرويات شيخه البابلي المصري، وكتاب "مقاليد الأسانيد" جمع فيه مروياته عن شيوخه المالكيين وأسماء رواة أبي حنيفة

---

[18] – العياشي، المصدر السابق ،ص 402.

[19] – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 56.

[20] – الكتاني، المرجع السابق، ص 807.

[21] – المرجع نفسه، ص 808.

[22] – العياشي، المصدر السابق، ج 2،ص 265.

والمشايخ الأعلام، والذي نسبه إليه أحمد بن عمار في إجازته لمحمد خليل المرادي سنة 1205هـ، ولعل هذا الكتاب حسب ما يذهب إليه سعد الله هو نفس كتاب "كنز الرواة : أطلقه عليه المؤلف الإسم المذكور أعلاه بعد الفراغ منه [23]، ومن المؤلفات أيضا " أسماء رواة أبي حنيفة" أو المعروف بـــ "مسند أبي حنيفة" والذي تضمن مجمل الأحاديث والآثار والفتاوى المتصلة بأسانيدها إلى الإمام أبي حنيفة النعمان مع التعليق عليها [24]، كما ينسب إليه كتاب : "إتحاف ودود وإسعاف بمقصد محمود في ذكر سند الفقه "ذكره الدرعي في رحلته مبينا مضمونه المرتبط بسلسلته الفقهية على مذهب الإمام مالك، وما تضمنته من الأسانيد من طريق شيخه الأنصاري إلى مشاهير أئمة المذهب المالكي دراية ورواية من أعلامه كأبي محمد بن الطاهر الحسني، وأبي عبد الله بن أبي بكر الدلائي، والشهاب أبي العباس المقرّي التلمساني، بسندها إلى الإمام مالك ومنه إلى النبي عليه الصلاة والسلام.[25] كما ألف تلميذه العيّاشي عن سيرته العلمية في عمدة الإثبات سمّاه" مقاليد الأسانيد في أسانيد عيسى الثعالبي "أو المعروف بـــ "مسند أبي مهدي الثعالبي" والذي نقل عنه شمس الدين الطيب الشركي في حواشي مؤلفه القاموس[26] .

هذه المؤلفات التي تركها الثعالبي لم تكن بالقدر الكافي والعدد الكبير الذي يبرز شهرة الثعالبي في التأليف، ولعل هذا قد يرجع إلى اهتمامه بالتعليم وانقطاعه للتدريس، ومع ذلك فإنّ أعماله تعتبر قيّمة في مجالها واحتلّت مكانة هامة ضـــمن المصـــنفات المرجعية لعلم الحديث بين طلاب العلم والمهتمين بالتراجم والسيّر في ضبط الأسماء والأنساب والأثبات.

2.3 أشهر تلامذته وإجازاته:

اشتغل الشيخ عيسى الثعالبي خلال فترة استقراره بمكة المكرمة بالتدريس في المسجد الحرام علم الحديث والفقه، واستقطب إليه الوافدين من مختلف الأصـــقاع وكان يلتقي المغاربة ويســـاعدهم على التحصـــيل، ويمنحهم الإجازات فمنهم من ترجمت له كتب التراجم والسير، مثل أحمد بن سعيد الدلائي الذي لقية سنة 1068هـ بمكة المكرمة وأجازه في الحديث، ومن الذين اشتهروا بالتلقِّي عنه وكانوا أشدّ المعجبين به والمؤرخين لحياته العياشي في رحلته، والمحبّي في خلاصة الأثر، وقد تتلمذ على الثعالبي عدد من المشائخ والعلماء في علم الحديث بحضور حلقاته والحصول على إجازته[27] ممن عاصره أو تلقى عن غيره بسنده مثل المفتي أحمد بن عمار الجزائري الذي يذكر عنه أنّه روى الحديث وغيره بسنده عن عيسى الثعالبي في ما كان يقدمه من إجازات، ومنها إجازته لمحمد خليل المرادي الشامي المتواترة عن عيسى الثعالبي عن طريق محمد الحفني المصري بالأسانيد في ثبته المسمى "مقاليد الأسانيد" .[28]

---

[23] – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 59.

[24] – مصطفى حميداتو ، العلامة عيسى بن محمد بن محمد الثعالبي المتوفي سنة 1080هـ وكتابه مسند أبي حنيفة، مجلة الشهاب معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، المجلد، العدد 4، 2020، ص 89.

[25] – أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي ، الرحلة الناصرية 1709-1710، تحقيق وتقديم : عبد الحفيظ ملوكي، ج1، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2001، ص 405-406.

[26] – الكتاني ، فهرس الفهارس، ج2، ص 843 .

[27] – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2،ص 57.

[28]– للتفاصيل أكثر حول نص الإجازة ينظر: أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 65- 67.

ويتناول العياشي لقاءه بشيخه عيسى الثعالبي بالقاهرة في أواخر سنة 1064- وبداية 1065هـ/، 1654م -1655م وما استفاده من علوم حيث يقول :"... وأخذت عنه وتلقنت منه، وسمعت منه ما تّيسر، ورافعته في السماع من بعض المشائخ "، ويضيف في موضع آخر قوله: "... وقرأت عليه، واستفدت منه كثيرا، وشاركته في كثير من مشائخه، وسمعت منه بعض مسند ابن حنبل، عن جميع أشياخه، وسمعت جميع رسالة أبي محمد بن أبي زيد بلفظي في منزله بجانب المسجد الحرام ، وأجازني بها وبسائر مروياته، خصوصا مؤلفات مذهب مالك بأسانيده إلى أربابها، حسبما أذكرها [29].

ويبدو أن نبوغ الشيخ الثعالبي في علم الحديث والفقه جعله مقصد الكثير من طلاب العلم فإضافة إلى المغاربة نجد من المشارقة من أجازهم الشيخ عيسى الثعالبي في علم الحديث مثل : محمد بن أحمد العيثاوي الدمشقي الشافعي (ت1080 هـ/1669م) والذي أجازه الثعالبي في أواخر ذي الحجة من 1057هـ/1664م، بمكة المكرمة على الأرجح أثناء تأديته لفريضة الحج، ومما جاء في نص الإجازة : "...أجزت للأخ في الله سيدي الشيخ محمد المذكور جميع ما أرويه من الصحاح الست وسائر الجوامع والمسانيد والمعاجم والمشيخات والأجزاء الأربعينيات، وجميع التصانيف في سائر الفنون منقولها ومعقولها وفروعها وأصولها ممّا للعبد به اتصال، وله فيه تفصيل أو إجمال إجازة عامة بشرطها المحرر وضابطها المقرّر عند أئمة الأثر وجهابذة النظر ..." [30].

ومنهم أيضا إبراهيم بن سعيد قدورة الذي أجازه الشيخ الثعالبي أواخر ذي الحجة من عام 1077 هـ/ 1666م بمكة المكرمة على الرّاجح أثناء تأديته فريضة الحج، حيث جاءت هذه الإجازة ضمن أسلوب نثري مفصل، وممّا تضمنته كمقتطف منها قوله: ".. قد أجزت للشيخ الفاضل نخبة الأكابر الأفاضل الشيخ إبراهيم المذكور أن يروي عنّي جميع ما تجوز لي روايته من الموطئات للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه والصحيحين والسنن الأربع، وسائر الصحاح، والمسانيد الثلاثة للإمام أبي حنيفة، وأبي عبد الله الشافعي، وأبي عبد الله أحمد بن حنبل، وسائر المسانيد والمعاجم والأجزاء والأربعينيات والمشيخات والفوائد والإنشادات وسائر التصانيف في سائر الفنون من مفوض ومسنون، وإجازة تامة مطلقة عامة بشرطها المعروف، ومنهاجها المألوف، وتفصيل الأسانيد بيد الأخ المذكور طرفا منها .. " [31]. هذا المقتطف يبرز العلوم التي اختصّ فيه الشيخ الثعالبي والتي كان يجيز فيها طلابه، ويذكر أبو القاسم سعد الله أن الثعالبي أجاز أيضا إبراهيم بن حامد القاكي بحديث الرحمة المسلسل والضيافة والمصافحة والمشابكة وتلقين الذكر وغير ذلك ..[32].

هذه النماذج من الشخصيات العلمية والمشائخ وغيرهم ممن أخذوا عن الشيخ عيسى الثعالبي وتلقوا عنه مباشرة بالدرس وحصلوا منه على إجازات سواء في علم الحديث أو الفقه استطاعوا أن يحافظوا على مروياته وإسناده في الرواية، وفق السلسلة المتواترة التي تبرز المكانة العلمية التي احتلّها عيسى الثعالبي كشيخ من مشائخ الحديث استقطب المشارقة والمغاربة من أجل التحصيل والتعلّم.

---

[29] – العياشي ، المصدر السابق، ج2 ،ص 264.

[30] – عن نص الإجازة كاملة ينظر : فوزية لزغم ، إجازتا الشيخ عيسى الثعالبي للشيخين محمد العيثاوي وإبراهيم قدورة أنموذج عن النثر الأدبي بالجزائر خلال العهد العثماني ، المجلة الجزائرية للمخطوطات ،جامعة وهران أحمد بن بلة ، العدد 12، جانفي 2015 ، ص 124 وما بعدها .

[31] – للإطلاع أكثر على النص الإجازة راجع : فوزية لزغم ، المرجع نفسه، ص 127 وما بعدها ..

[32] – سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2، ص 57.

4. مكانته العلمية والدينية :

مثلّ العلامة عيسى الثعالبي أنموذجا وقدوة للعديد من تلاميذه ونبراسا لهم فيما تلقّوه عنه من علوم ومواعظ من خلال مجالسته لهم، وقد تناولت كتب السـير والتراجم سـيرته ومحطات هامة من حياته والتي تنوعت حولها الأقوال والشـهادات، ولعل من أبرز المؤلفات التي تناولت بعض ملامح سيرته ما ذكره تلميذه العياشي في رحلته ضمن مصنفه، ومنها ما ذكره من نثر أو نظم حوله، وسنحاول أن ننتقي بعض المقتطفات على سبيل المثال لا الحصر، ومما كتبه العياشي عن شيخه بأنه : " ...أوحد عصره في حسن الأخلاق، وغريب الشكل في دهره على الإطلاق، قائم بحق الله في نفسـه وفي معاملة أبناء جنسـه، لا تملّ محادثته، ولا تسـأم مجالسـته، إن حادثته في أخبار الدنيا أمتعك، وفي أحول الآخرة نفعك..."[33]، وفي مدحه لشيخه نظم العياشي أبياتا بعد عودته من الحجاز يستعطفه بها ويبرز فضله عليه، ومما جاء فيها قوله :

إذا غَلبتْك النَّائباتُ فغالـــب ... بفخر فحول علوم العلم عيسى الثَّعالب

أجلّ الورى قدرا وعلما وفطنة ... وألينهم عطفا على كل طـــــــالب

وأحسنهم خلقا إذا ما اختبرته ... وبدر سماء المجد صدر المـــــناقب

إمام همام لا ترى مثله ولـــو ... ضربت جميع الأرض جمّ' المنـــاقب[34]

وقد تميز الثعالبي بنبوغه ومكانته المرموقة بين العلماء الذين أخذ عنهم وممن كانوا يسـتفيدون منه شـيوخا وطلبة، وهو الوصـف الذي ذكره العياشي في موضع آخر بقوله :" وما دخل على أحد قطّ من المشائخ فيخرج إلا فائدة له وللحاضرين، ويضيف العياشي بأنّ الشيخ البابلي كان يقول للثعالبي :" ما وصل إلينا من المغرب أحفظ من الشيخ المقري ولا أذكى منك ،فيرد عليه : يا سيدي إنّما تقول ذلك لإنصافك" [35]، ويروى عن المكانة التي احتلّها الشيخ الثعالبي بالحجاز ما ذكره الشيخ محمد بن أحمد بن عبد القادر القرشي الزبيري إمام المحراب الشريف بالروضة المطهرة قوله: " وشيخنا أبو المهدي هذا استوطن ..أرض الحجاز يتردد بين الحرمين، وله في قلوب أهلها محبة وإجلال نفعنا الله به "[36].

وفي فضل صفاته وأخلاقه يذكر العياشي عنه :" ... أنّه لا يغشى أبواب الأمراء، ولا يستنكف عن مجالسة الفقراء، قاسي في أول مجاورته من الفقر شدّة، فاتخذ الصبر عدّة، فلم يكشف قناع وجهه لطلب نوال أمير، وقنع بالكسرة والماء النمي، ثم اشتهر بعد ذلك أمره وظهر للناس خيره وأنثال الناس إليه من كل جانب ..."[37].

---

[33] – العياشي، المصدر السابق ،ج2، ص 181-182.

[34] – نفسه، ص 186.

[35] – نفسه، ص 185.

[36] – محمد بن الطيب القادري ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج2، تحقيق:محمد حجي، أحمد التوفيق، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، الرباط،ط1، 1980، ص 186.

[37] – العياشي، المصدر السابق، ج2،ص 184.- 185؛ سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 60.

ومن المتأخرين الذين كتبوا عن الشيخ الثعالبي ما ضمنّه المؤرخ أبو القاسم سعد الله من مقتطفات عن سيرته والتي أشار من خلالها إلى مكانته العلمية بقوله : " إنّ عيسى الثعالبي بسيرته العلمية ومؤلفاته وتأثيره الروحي على معاصريه كان عملاقا في القرن الحادي عشر.فقد كان على رأس الأربعة الذين أحرزوا مكانة علمية في العالم الإسلامي في وقتهم وهم سعيد قدورة ، وأحمد المقري ، وعبد الكريم الفكون ، ويحي الشاوي ..."[38].

هذه المقتطفات من الشهادات المختارة تبرز المكانة العلمية للشيخ عيسى الثعالبي من تلامذته وممن تأثروا بسيرته وأخذوا عنه والتي بدورها تعكس المكانة التي احتلّها بين العلماء بالمشرق .

5.الخاتمة :

من خلال ما سبق نخلص إلى أن سيرة الشيخ عيسى الثعالبي تبرز مكانته العلمية الحافلة بالعطاء والتأثير العلمي والروحي، حيث يعدّ العلامة الثعالبي من أبرز الأعلام الجزائريين الذين حملوا على عاتقهم نشر العلوم الدينية وبخاصة علم الحديث، انطلاقا من بلاد الحرمين بعد رحلة علمية مليئة بالإجتهاد والتحصيل كانت منطلقاتها من الجزائر، وشكّل تراثه الفكري والديني نبراسا لطلاب العلم والعلماء ممن قصدوه للتلقّي عنه، وساهم بتصدّره للتدريس والتعليم بالمشرق العربي عموما وببلاد الحرمين خصوصا في تكوين نخب العلمية سواء مشرقية أومغاربية، وبما اشتهرت به شخصيته كنموذج للتواصل بين الجهتين، في مجال اهتماماته وتخصصه، وبما قدّمه من إجازات علمية للعديد من طلاب العلم الوافدين إلى مكة المكرمة، مما جعلهم يهتمون بسيرته فأحيوها وأبرزوا مكانته العلمية وأعجبوا بصفاته وأخلاقه وما اشتهر به من ملكة واسعة في علم الحديث والإسناد، وما تميّز به من ذكاء وقوة وهيبة في الفقه المالكي واعتدال في التصوف.

6.قائمة المراجع:

1- الدرعي أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر(2001)، الرحلة الناصرية 1709-1710، تحقيق وتقديم:عبد الحفيظ ملوكي، ج1،ط1،أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع .

2- العياشي عبد الله بن محمد(2006)، الرّحلة العياشية 1661-1663، تحقيق : سعيد الفاضلي ، سليمان القرشي، ج2،ط1، أبوظبي ،الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع

3- الفكون عبد الكريم،(1987)، منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله،ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

4- القادري محمد بن الطيب،(1980)، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج2،ط1، تحقيق: محمد حجي، أحمد التوفيق،الرباط : نشر وتوزيع مكتبة الطالب.

5- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير(1982)، فهرسة لفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء: إحسان عباس ،ج2،ط2،بيروت: دار الغرب الإسلامي.

---

[38]- المرجع نفسه ، ج1 ،ص 60.

6- المحبّي،محمد أمين(د.ت)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج3،القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

7- الشيخ أبو عمران،سعيدوني ناصر الدين، محمد التجاني،(1995)، معجم مشاهير المغاربة، الجزائر: الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع.

8- سعد الله أبو القاسم(1983)، تجارب في الأدب والرحلة،الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

9- سعد الله أبو القاسم،(1986)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية،بيروت: دار الغرب الإسلامي.

10- سعد الله أبو القاسم (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1، (1500- 1830)،ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

11- سعد الله أبو القاسم،(1998)، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، (1500-1830)،ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المجلات :

12- حميداتو مصطفى،(2020)، العلامة عيسى بن محمد بن محمد الثعالبي المتوفي سنة 1080هـ وكتابه مسند أبي حنيفة،جامعة الوادي (الجزائر): مجلة الشهاب معهد العلوم الإسلامية، العدد 4.

13- دخان عبد العزيز،(2020)، الإمام أبو مهدي عيسى الثعالبي ومعجم المؤلفات الواردة في كتابه (كنز الرواة المجموع)، مجلة الصراط، المجلد 22 ، العدد1.

14- لزغم فوزية، (2015)، إجازتا الشيخ عيسى الثعالبي للشيخين محمد العيثاوي وإبراهيم قدورة أنموذج عن النشر الأدبي بالجزائر خلال العهد العثماني،جامعة أحمد بن بلة وهران(الجزائر): المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 12.